وسائل الإسلام

فى القضاء على الآفات الاجتماعية

لحضرة صاحب السعادة الأستاذ عبد الرحمن عزام بك

الوزير المفوض فى وزارة الخارجية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" .

فالمجتمع الاسلامى فى نظر الاسلام يجب أن يكون بين أفراده من العلاقات وسائر أعمال البر والتقوى ما يجعله وحدة سليمة متعاونة على دفع الفساد الذى يتطرق إليها .

١ — مسئولية الفرد ومسئولية الجماعة :

مسئولية الفرد فى المجتمع الاسلامى عن الجماعة ، ومسئولية الجماعة عن الفرد مسئولية عظمى هى أمانة الحياة ومناط تكليفاتها . ولذلك كره للفرد أن يتوحد ويعتزل ويشرّد عن المجتمع وينكر الصلة بينه وبين غيره ، حتى لقد كره الاسلام ذلك فى العبادة فقال رسول الله : "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى" كما كره للجماعة أن تهمل العناية بالفرد وأوجب عليها أن تصون مصالحه وتحترم حقوقه وحريته وتوفق بين المصالح المختلفة .

فالفرد فى المجتمع الاسلامى جزء فى كل يكمله ويكتمل به ، ويعطيه ويأخذ منه ، ويحميه ويحتمى فيه . هذه المسئولية الفردية عن الجماعة وهذه المسئولية الجماعية عن الفرد هما أولى وسائل الاسلام فى القضاء على الآفات الاجتماعية . وقد أكد الاسلام معانى هاتين المسئوليتين فى ضمير الفرد وضمير الجماعة ليضمن للمسلمين حياة الجسم الواحد الصحيح القوى السعيد المنتج فقال للفرد : "أنت على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبلك" الحديث . "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" الحديث . "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم

بأخلاقكم " الحديث . " أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد " الحديث . " أَرَأَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ " الآية "وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ " الآية . " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ".

وجعل فى دعاء الفرد قوله : "وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا" إلى آخر النصوص التى توجه قلب الفرد للجماعة وتدمجه فيها إدماجا تاما . وقال للجماعة : "إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ" الآية "المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم" الحديث . " انصر أخاك ظالما أو مظلوما . فقال رجل : أنصره إذا كان مظلوما ، أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره " الحديث .

وضرب مثلا رائعا لوصاية الجماعة على الفرد ومسئوليتها إزاء جناياته فقال رسول الله : " إن قوما ركبوا سفينة فاقتسموا فصار لكل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له ما تصنع ؟ قال هو مكانى أصنع فيه ما أشاء ، فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا " الحديث .

هذا التقابل بين الفرد والجماعة فى المسئولية العامة عن المصالح هو أساس مقاومة الآفات الاجتماعية . وجميع الوسائل التى سنذكرها فيما بعد لا تنتج نتائجها اذا لم تكن قبلها هذه الوسيلة .

وخلافة الانسان عن الله فى الأرض ووصايته على مقدراتها لا تحققان إلا بهذا التكافل الاجتماعى .

فعلى الذين يريدون مقاومة الآفات الاجتماعية أن يوقظوا أولا ضمير الفرد للجماعة وضمير الجماعة للفرد ، وأن يؤكدوا معانى المسئوليتين السابقتين حتى يحس الفرد إحساس البنوة والبر بالجماعة وتحس الجماعة إحساس الأمومة والرعاية للفرد .

٢ — تكوين الرأى العام :

ينشأ من إدراك المسئوليتين السابقتين والاصطلاع بهما مايسمى الرأى العام . وهو الحارس اليقظ لكيان الأمة اذا كان مبنيا على بصيرة ووحدة فى القصد والهدف . وهو السلطة الرهيبة التى تقوم الحكام والأفراد . وبه تهتز الأمة وينتفض جسمها انتفاضة الغضب اذا أصابه سوء أو فساد كما يهتز جسم الفرد وينتفض لما يصيبه من مكروه . وهو أمضى سلاح للقضاء على الآفات الاجتماعية يفعل ما لا تفعل القوانين . وهو العين الساهرة على تنفيذ القوانين واحترام القواعد الأدبية والسنن الصالحة التى أقرها المجتمع .

ولذلك عنى الاسلام بتكوينه كرقيب يهذب من شذوذ الفرد ويحد من غلو الجماعة . فجعــل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أكبر عزائم الاسلام وأعظم أسس الحياة الاجتماعية الصالحة .

قال القرآن : "وَالْمُـؤْمِنُونَ وَالْمُـؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَـعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُـنْكَرِ وقال : "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَـيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَـعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُـنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُـفْلِحُونَ" ، وفى الحديث النبوى الشريف : "لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا وقال : لا والذى نفسى بيده ! حتى تأطروهم على الحق أطرا " أى تعطفوهم وتميلوهم . فكل ما هو من حق الله أو حق الجماعة ينبغى ألا يجامل فيه اذا اعتدى عليه معتد كائنا من كان .

وأكبر آفاتنا الاجتماعية ناشئ من أن الرأى العـام الصالح لم يتكون . فكثيرا ما نرى أفرادا يجاهرون بالاعتداء على حرمات الدين والدولة والحقوق العـامة ومع ذلك لا يحـرك الجمهور ساكنا بالإنكار أو الاعتراض . ذلك لأن الجماعة هنا تعيش فى ذهول عن نفسها وحقوقها وواجباتها اذ هى جماعة موزعة مشتتة الأهواء غير متجانسة التربية والتعليم . التربية والثقافة فيها غير مطبوعتين بطابع واحد قـد صبت فيهما جداول مختلفة بلبلت أخلاق الأمة وتفكيرها وإيمانها وجعلت الشيء الواحد حسنا وقبيحا لديها فى آن واحد : حسنا لدى جماعة وقبيحا لدى أخرى .

٣ — الدعوة والإقناع :

فتقدير المسئولية الفردية ومسئولية الجماعة وإيجاد الرأى العام الصالح لايكون الا بالدعوة والاقناع، ومتى أدرك الكل الحقوق والواجبات إدراكا صحيحا ظهر الرأى العام موحدا وقويا فيقوم المعوج ويصلح الفاسد .

فالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة التى تصل الى أعماق النفوس فتبذر بذور الخير وحب الحق وتجتث أصول الشر وأسباب الآفات هى إذن الفاتحة التى لا بد منها .

ومفتاح كل أمر من أمور الاصلاح هو الوصول الى النفس أولا وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فقال "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" .

وقـد كان الإرشاد الاجتماعى المبنى على الاقناع أحد الأسلحة القوية التى قضى بهـا الاسلام على الآفات الاجتماعية، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرع الآذان بالقرآن ليصل الى القلوب والعقول حتى تعرف الحق وتدرك الرشد وتقوم عليها الحجة ويسقط عذرها أمام

نفسها وأمامالله. ولذلك سبق عهد الدعوة عهد التشريع والالزام، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس ثلاث عشرة سـنة حتى تسربت دعوته الى قلوب القوم واشتغلت بها أنديتهم تساءلوا عن نبئها العظيم .

فلما انتشرت الدعوة ووحد الرأى العام لها فى المدينة ابتدأت مرحلة التشريع والإلزام.

كذلك عالج الاسلام آفات المجتمع العربى وقتئذ بالدعوة ثم بالتشريع . واليوم على الذين يريدون علاجها أن يسلكوا هذه السبيل، فيجب أن تتخذ الدعوة أساسا للاصلاح قبل التشريع، ويجب أن يلحظ التدرج فى التشريع وترك الطفرة حتى يتهيأ الجو الصالح وتستعد أعصاب الجماعة لقبول ما يلقى عليها من الأوامر والإلزامات.

وقصة تحريم الخمر فى الاسلام بالدعوة أولا و بالتدرج فى التشريع ثانيا تبين لنا أسلوب الاسلام فى التوصل الى أغراضه خطوة خطوة .

قلنا إن الاسلام اتخذ الدعوة وسيلة للاصلاح الاجتماعى، ثم لجأ الى التشريع لحماية مقاصد هذه الدعوة وقد جعل الحياة كلها ترمى الى الايمان والاحسان فى العمل فقال: "وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ" الآية ، فجعل الاسلام قائما على دعامتين : الإيمان بالله والإحسان فى العمل .

هـذا الاحسان فى العمل هو الذى تشعبت منه أصول الدعوة الإسلامية وفروعها . فالإسلام يحدد للفرد والجماعة الحقوق والواجبات على أساس هذا الاحسان . فكل تكليف وكل حق ينشأ فى المجتمع الاسلامى إنما ينشأ بسبب واحد وهو الاحسان للفرد أو للجماعة . . فأى عمل من شأنه أن يباعد من الخير ويقرب من الشر سواء أعاد هـذا العمل على صاحبه أم على غيره فهو محرم .

لذلك نجد الاسلام قد تناول جميع نواحى الحياة وحدد فيها المسئولية لتحقيق قصده وهو الحياة السعيدة التى يريدها للناس فى هذه الحياة الدنيا والتى جعلها وسيلتهم لحياة أرقى وأسعد فى الآخرة .

و انى لن أحاول الآن فى هذه العجالة أن أحصر وسائله الى الحياة السعيدة، ولا أن أعدد جانبا كبيرا منها. ولكنى سأسوق بعض الأمثلة التى تبين خططه الرئيسية فى الاصلاح الاجتماعى.

فمثلا يقول نبى الاسلام: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" الى آخر الحديث السابق . لم يخل أحدا من مسئوليته عن الآخر . فأمير المؤمنين مسئول عن المؤمنين، ووكلاؤه وأمناؤه مسئولون عما بين أيديهم من سلطته . ورب الأسرة مسئول عن أسرته ، والمرأة مسئولة عن بيتها والفرد مسئول عن نفسه وعن جاره . وكل فرد فى المجتمع الاسلامى مسئول عن حسن نظام المجتمع كله، لأنه مكلف كما قلنا بالعمل والدعوة لصلاح هذا المجتمع و بالتواصى بالحق والتعاون على البر والتقوى

هو مكلف بكل أولئك لغرض واحد هو الإحسان الذى جعله قاعدة الإسلام الثانية بعد الايمان . وليس أنجع لمقاومة الشر وآفات المجتمع من التربية الإسلامية التى جعلت هذه المسئولية تهبط من الأسمى إلى الأدنى وتصعد من الأدنى إلى الأعلى . فهى التى تشد البناء الإسلامى وتمسكه من الخلل :

(١) الفقر — وفى المجتمع آفات كثيرة لا عداد لها الفقر أهمها. فكيف نظر اليه الاسلام ؟

لم يجعله الاسلام سببا لازدراء صاحبه ، بل جعل أقرب الناس إلى الله أتقاهم . فالفقير على حاجته قد يكون فى نظر الإسلام أعلى من أى رجل تحرمهما كان منه أو جاهه وبهذا ابتدأ المواساة الأولى للفقير.

ثم نظر فى حال الفقير : فإما أن يكون هذا الفقير عاجزا عن الكسب لعلة به، وإما أن يكون عاجزا عن الكسب لفقدان الوسيلة إلى العمل .

فاما الذى يعجز لعلة لا علاج لها فقد جعل مواساته حقا على المجتمع لا تبرعا وتطوعا قال القرآن: " وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " فصان بذلك كرامته الإنسانية .

وأما الذى يعجز لفقدان الوسيلة إلى العمل فقد أوجب على الدولة إيجاد الوسيلة لتكسبه. وقد قبح الإسلام السؤال ودعا المسلم للترفع عنه فاليد العليا خير من اليد السفلى . وقد أعطى رسول الله سائلا درهما وأمره أن يشترى به فأسا وحبلا ويحتطب ولا يتعرض لذل السؤال.

والأصل فى الإسلام هو العمل والتكسب. وقد حض عليه بجميع الوسائل حتى لقد فضله على الانقطاع لعبادة الله. ولكنه كذلك أنصف المجتمع بإلزام الدولة ان تعين على إيجاد العمل لمن لا يجده وأن تحمى من يعجز عنه .

وقد أراد الإسلام أن يجعل مستوى المعيشة متناسقا ومتقاربا بين أتباعه فحارب الترف فى أعلى الهيئة الاجتماعية، وطارد البؤس فى أسفلها، واتخذ لذلك وسيلتين : وسيلة الضمير وهى أقواهما، ووسيلة القانون . فجعل الحياة السعيدة الخالدة لا تنال إلا بالانفاق على المستحقين من الأهل والأقربين والمساكين ولا ينال متاعها المسرفون الذين جعلوا شهواتهم فى هذه الحياة أهدافهم .

جعل ضمير المسلم لا يستريح إذا طعم ولبس وتمتع وجاره ومن حوله قد عجزوا عن القوت . وحضه حضا قويا على البذل والقناعة والحد من شهواته فى سبيل إغاثة المهوفين والمحتاجين، حتى لقد أمر أن يطعم السيد الخادم مما يطعم، ويكسوه مما يكتسى .

قال المعرور بن سويد: "رأيت أبا ذر رضى الله عنه عليه حلة وعلى غلامه مثلها فسألته عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولاتكلفوهم من العمل ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه ".

ولم يكتف الإسلام بإيقاظ الضمير لهذا، بل جعل للدولة أن تقتضى من فضلة مال الفرد مبالغ لا يستهان بها لتتكفل بوسائلها هى أيضا حاجات الفقراء والمساكين، وفى الحقيقة حين يحارب الإسلام الترف والاكتناز والربا ويقول : "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ" وحين يقول : "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ" وحين يقول : "يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ" وحين يقتضى الزكاة على الأموال المكنوزة ويحرم الربا — إنما يريد بذلك كله أن يرفع مستوى الطبقات الفقيرة ويخفض من مستوى المترفين ليجعل حياة الجميع سعيدة متناسقة .

فتحريم الترف يوجه الأموال إلى إنتاج أكثر فائدة للجميع . وتحريم كنزها يوجب تداولها . وتداولها من غير ربا يؤدى إلى المشاركة فيها . وإذا لم يجد الناس فى الترف لذتهم وجاههم وجدوهما فى الإحسان والبر، وإذا لم يجدوا فى الكنز ضمانا لهم وجدوه فى ضمانة المجتمع الإسلامى المتكافل الذى لم يهمل أحدا ولم يحتقر أحدا ، وإذا لم يجدوه فى الربا وجدوه فى لذة الكسب والمشاركة مع إخوانهم الذين يعملون فى أموالهم .

هذا الإسلام الذى حارب آفة الفقر بإيقاظ الضمير وبالتشريع جعل العمل أس المقاصد فأمر بالسعى وفضله على الانقطاع للعبادة ، وأمر بالجد والاتقان . وذلك لا شك أفضل الوسائل لمحاربة الفقر. ولم يجعل جزاء العمل مقصورا على هذه الحياة الدنيا بل وعد به فى الآخرة.

والإسلام يدفع الفقر بالدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ويقاوم بالحجة والحدود الشرور والرذائل . فلو أن وسائله استخدمت فى ردع أرباب الشرور والآثام، وفى الدعوة للفضيلة والخير لتماسكت الأسرة الإسلامية وأدرك كل عضو فيها واجبه وكبح من نزعاته وكان ذلك من أمضى الأسلحة فى مقاومة الفقر، إذ أن أعظم أسباب الفقر من الاسراف فى الشهوات وارتكاب الاثام كتعاطى الخمور والمخدرات وإهمال صحة البدن والأوامر الدينية التى من شأنها تقويم الأرواح والأبدان . ولو اتخذنا وسائل الإسلام فى التراحم والتعاطف ومبادئه فى الأخوة والتعاون وأيقظنا ضمير الأمة الدينى فى هذه الناحية لطعنا كذلك الفقر طعنة تعجزه عن أن يدخل أكثر البيوت .

ولو قامت الدولة بواجبها فى كفالة المتخلفين من إخواننا لما يصيبهم فى أنفسهم أو أبدانهم أو لما يصيبهم من انقطاع السبل بهم مع رغبتهم فى العمل وذلك بأن تكون سياستها قائمة على أساس التكافل الذى جاء به الاسلام فى قول رسوله : "المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا" فوزعت الصدقة على من لا سبيل له غير الصدقة ووزعت

العمل على الناس بقصد الخير العام ولو على سبيل الإجبار على عمل معين للقادر عليه لقاتلت هى أيضا بوسائلها الفعالة الفقر .

وقد جعل الإسلام فى هذا سلطات واسعة لولى الأمر . فله فى سبيل الاصلاح العام أن يحدث أقضية بقدر ما يحدث من المشاكل . وله أن يكيف الأحوال لتسير وفق الغرض الأساسى للإسلام وهو الإحسان .

(٢) المرض — ومن الآفات الاجتماعية المرض وقد قاومه الإسلام بوسائل شتى . . . قاومه بالتطهر والنظافة والعفاف والاعتدال فى الشهوات وجميع اللذات والأعمال، ثم قاومه بالعلاج .

فالدين الذى يجعل ولى الأمر مسئولا عن إرضاع الطفل إذا أبت أمه إرضاعه يجعله مسئولا بالطبع عن علاج المريض وعن اتخاذ أسباب الوقاية من الأمراض ، وهو بهذا له السلطان المطلق فى مقاومة هذه الافة بالدعوة والقانون .

وقد كان الإسلام من أبعد الأديان نظرا فى القرون الأولى، فحرم على أهل البلد الموبوءة أن يخرجوا منها وحرم على القادمين أن يدخلوا إليها . ولم يضع أى عقبة فى سبيل الاصلاح من هذه الناحية . وما عليه بعض الناس من جمود أو تعصب أو تواكل فى هذا الشأن لا يتفق مطلقا والروح الإسلامية .

وقد عنى المسلمون فى كل العصور بالمرضى، إما بما عليهم من التكاليف التى أوجبها الإسلام، وإما بما فيهم من الرغبة فى التطوع للإحسان والبر بقصد القربى الى الله . فلم يهملوا مرضاهم بل عدوا عيادتهم ومواساتهم من أفضل القربى .

(٣) الجهل — وليس أبغض الى الاسلام من الجهل وهو من شر الآفات الاجتماعية، وقد قاومه الاسلام وبغض فيه وأمر بطلب العلم وتحمل المشاق فى سبيله فقال : "هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْمًا" "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" " اطلبوا العلم ولو بالصين " وفى الأثر : "يوزن مداد العلماء بدم الشهداء يوم القيامة " .

وجعل التفقة فرض كفاية على الأمة فقال : " فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ " .

وأكثر الشرور ناشئ من إهمال تعميم التعليم والتربية . وليس العلم عندى مقصورا على التحصيل المعروف بالمدارس، انما أقصد به الارشاد الذى ينير أذهان الطبقات جميعها الى حقوقهم وواجباتهم نحو أنفسهم ونحو المجتمع، والى رفع مستوى تفكيرهم وتقديرهم للأشياء . وللعلم وسائل كثيرة ليست الكتابة والقراءة إلا إحداها .

ولقد كان المسلمون فى كل العصور يجدون فى هذا الارشاد قربى الى الله، وكان الصفوة المصطفون منهم يهبون أنفسهم طول حياتهم للدعوة والارشاد والتعليم، قانعين فى سبيل ذلك بالقليل ناظرين الى الجزاء الاعلى أعلى وأثمن من كل جزاء آخر .

وما الطرق الصوفية وتعددها وانتشارها فى الأقطار الاسلامية إلا مظهر من مظاهر هذه الرغبة فى تنوير الناس ورفع مستواهم الفكرى والروحى، وما هى الا إحدى نتائج نشاط الدعوة الاسلامية فى مقاومة الجهالة .

وإذا كان كثير من هذه الطرق قد فسد الآن لانحرافه عن المقاصد الأصلية، وهى أن تقوم طائفة من المسلمين بفريضة الدعوة والإرشاد والتعليم فذلك لما أصاب المجتمع كله من الفساد العام الذى جعل كثيرا من وسائل الاسلام وأغراضه صورا رمزية للحقائق أصبح الناس بعيدين عنها كل البعد.

هذه أمثلة من الآفات وأمثلة من علاجها، وليس المقام كما قلت مقام تفصيل. ولكنى لا أستطيع أن أختتم هذه الكلمة قبل أن أشير الى معنى أساسى من معانى الاسلام هو من أعظم مبادئه فى مقاومة الشرور الاجتماعية، ذلك هو مبدأ المساواة الذى يسيطر على تصرفات المسلمين فى عباداتهم ومعاملاتهم وآدابهم ، فالمسلمون جميعا عباد الله يسعى بذمتهم أدناهم، وأفضلهم عند الله أتقاهم .

ذلك المعنى متى رسخ فى أذهان الملوك والأمراء والحكام والعامة والفقراء والأغنياء والملاك والعمال كما يريده الإسلام استحالت معه الفرقة الاجتماعية وما يترتب عليها من حسد و بغض واختلاف وشر، ثم قتال وفساد للمجتمع بتسلط الأقوياء على المستضعفين أو بظهور المستضعفين واستذلالهم لمن كانوا أقوياء .

إن مبدأ المساواة شائع الآن بشرائع مصطنعة ومظاهر فى القول والقانون، ولكنه لم يستقر فى النفوس والضمائر ولم يختلط اختلاطا كليا بجميع مصادر الحياة ومواردها كما هو فى الإسلام.

فالمسلم يحس فى قرارة نفسه أنه مساو لخادمه، وأن الخادم قد يكون أفضل منه عند الله ويخشى أن يصيبه شئ فى هذا مخافة غضب الله الذى خلق الناس من نفس واحدة متساوين أحرارا.

فالمساواة بهذا المعنى العظيم هى فى نظرى أكبر الضمان ضد الشرور والآفات الاجتماعية فى زوال الأمم ، والتى قد تكون أساسا لأكثر هذه الحروب المهلكة للبشر .

فالديمقراطية الإسلامية التى هى أس الحكم الصالح والحياة السعيدة هى ديمقراطية لا شبيه لها . وليست المظاهر الخادعة من أشكال الحكم على تنوعها بواجدة مثل تلك الديمقراطية، فإن أساسها فى الضمير. فلو أنها استقرت فى الحياة الحالية واتخذت سبيلها الذى أراده الإسلام لكانت كفيلة بالقضاء على أعظم مصادر الشر وآفاته الاجتماعية ./.

عبد الرحمن عزام